

تفسير البحر المحيط

@ 136 @ القراءة كيف نصف من صرف ثلاثياً . .

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِيَّاهُ الَّذِي يَدْعُواكُمْ لِمَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِالْحَقِّ كَذِبًا } هذا تهديد ثالث فالأول بأحد أمرين : العذاب والساعة ، والثاني : بالأخذ والختم ، والثالث : بالعذاب فقط . قيل : { يَدْعُواكُمْ } فجأة لا يتقدم لكم به علم وجهرة تبدو لكم مخيلة ثم ينزل . وقال الحسن : { يَدْعُواكُمْ } ليلاً وجهرة نهاراً . وقال مجاهد : { يَدْعُواكُمْ } فجأة آمنين وجهرة وهم ينظرون ، ولما كانت البغية تضمنت معنى الخفية صح مقابلتها للجهرة وبدء بها لأنها أردع من الجهرية ، والجملة من قوله { هَلْ يُهْلِكُ } معناها النفي أي ما يهلك { إِيَّاهُ الَّذِي يَدْعُواكُمْ لِمَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ } ولذلك دخلت إلا وهي في موضع المفعول الثاني لا رأيتمكم والرابط محذوف أي هل يهلك به ؟ والأول من مفعولي { أَرَأَيْتُمْ } محذوف من باب الإعمال لما قررناه ، ولما كان التهديد شديداً جمع فيه بين أداتي الخطاب والخطاب لكفار قريش والعرب وفي ذكر الظلم تنبيه على علة الإهلاك والمعنى هل يهلك إلا أنتم لظلمكم ؟ وقرأ ابن محيص : { هَلْ يُهْلِكُ } مبنياً للفاعل . .

{ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا لِيُنذِرُوا الْغَافِلِينَ } أي { مُبَشِّرِينَ } بالثواب { وَمُنذِرِينَ } بالعقاب وانتصب { مُبَشِّرِينَ } و { مُنذِرِينَ } على الحال وفيهما معنى العلية ، أي أرسلناهم للتبشير والإنذار لا لأن تقترح عليهم الآيات بعد وضوح ما جاؤوا به وتبيين صحته . .

{ فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَفْعَلْ بِهِمْ مَا تُحِبُّونَ } أي من صدق بقلبه وأصلح في عمله . .
 { فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِرِئَاسَاتِنَا إِنَّا يَجْعَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } جعل { الْعَذَابَ }
 ماساً كأنه ذو حياة يفعل بهم ما شاء من الآلام . وقرأ علقمة : نمسهم العذاب بالنون من أمس وأدغم الأعمش العذاب بما كأبي عمرو . وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش { يَفْسُقُونَ } بكسر السين . .

{ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ } * بِاللَّيْلِ
 وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا نَسِيءٌ مَلَكٌ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِيعُوا إِلَّا تَطِيعُوا } قال
 الزمخشري : أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمة بين
 الخلق وأرزاقه وعلم الغيب ، وإنني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه

منزلة منه ، أي لم أدع الألوهية ولا الملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدون دعواي وتستنكرونها ، وإنما ادّعيّ ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة ، انتهى . وما قاله : من أن المعنى إني أقول لكم إني لست بيّاله فأ نصف بصفاته من كينونة خزائنه عندي وعلم الغيب ، وهو قول الطبري ، والأظهر أنه يريد أنه بشر لا شيء عنده من خزائن الله ولا من قدرته ولا يعلم شيئاً مما غاب عنه قاله ابن عطية . وأما قول الزمخشري في الملائكة هم أشرف جنس خلقه الله وأفضله وأقربه منزلة فهو جار على مذهب المعتزلة من أن الملك أفضل خلق الله ، وقد استدل الجبائي بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من الأنبياء قال : لأن معنى الآية لا أدّعيّ منزله فوق منزلتي فلولا أن الملك أفضل لم يصح ذلك . قال القاضي : إن كان الغرض مما نفى طريقة التواضع فالأقرب أن يدل على أن الملك أفضل وإن كان نفى قدرته عن أفعال لا يقوى عليها إلا الملائكة لم يدل على كونهم أفضل ؛ انتهى . .

وقد تكلمنا على ذلك عند قوله : { وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ } . وقال ابن عطية : وتعطى قوة اللفظ في هذه الآية أن الملك فضل من البشر وليس